المرأة ومضامينها. ولم يسع المرأة ـ بعد ـ أن تخرج عن هذه اللغة لتكتشف بحرها وتعلن عن وجوده أو ميلاده.

وحينما وصلت المرأة إلى بحر على ضفاف بيروت وأخذت منه حفنة ماء في زجاجة، إذا بالزجاجة تنكسر ويسيح الماء، مثلما انكسرت نظارة طلعت السوداء. ولم تجد المرأة بداً من أن تقول: (هناك قوة تحارب انعتاقنا)[27]. وتنتهي مثل نهاية طلعت وتقرر أنها (سوف تنتصر على الهزيمة بأن تحبها ـ ص 142)، أي أن تقبل بالهزيمة وتتعايش معها وترضى بالبديل الواقعي الجاهز الذي هو بحر الرجل ولغة الرجل وعقلية الرجل الثقافية والذهنية، وتكون الثقافة الذكورية بذلك هي النموذج المتاح ليس لقلم المرأة فحسب ولكن ـ أيضاً ـ هي النموذج الإبداعي الممكن لخيال المرأة وطموحها الذهني، ولا خيار سواه.

لقد وضعت غادة السمان نساءها في دائرة المحال منذ أن جعلت المرأة تعرف (ما لا تريد)[28]. ولم تجعلها تعرف ما تريد. وظل نساؤها يهربن من واقعهن إلى أن تكسرت نظاراتهن وزجاجات مائهن ليقعن أخيراً بين يدي (عماد) و(أمين).

هذا نموذج ظل يتكرر في ثقافة المرأة المبدعة منذ زمن الحكي، حيث رأينا الجارية تودد تقرر العودة إلى سيدها وترضى بقيد العبودية والرق مفضلة ذلك على الحرية، لأن الحرية بالنسبة لها تعادل الضياع والتشرد. وكما تقول إحدى النساء الباحثات فإن العيش على القمة موحش إذا ما كنت وحدك ـ (Alone At The Top Is Lonely) [29].

ويبدو أن المرأة ما زالت تشعر بالوحدة والوحشة في عالم ثقافي حكمه ويحكمه الرجل. وما زال النموذج النسائي نموذجاً فردياً ولم

(27) السابق 149.
(28) غادة السمان: ليل الغرباء 29.
(29) انظر المرجع المذكور في الهامش رقم 16 (ص 87).